لقاءات رمضان ١٤٣٤هـ

اللقاء الحادي عشر : تفسير الآيات ٨٣-٩٣ من سورة يونس

أ.أناهيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، وسمحت لهنّ الأستاذة بنشرها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تُنشر في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

/!#/http://tafaregdroos.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

/http://www.muslimat.net

- الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضا.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا هو لقاؤنا الحادي عشر من سلسلة اللقاءات لشهرٍ مباركٍ أنعم الله به على خلقه أسأل الله عزّ وجلّ أن يجعلنا من المقبولين فيه، فهذه هي غايتنا ومرادنا وأملنا أن نكون ممَّن نظر إليهم ربُّهم نظر الرضا، فقبلهم في هذه الأيام المباركة وأعتقهم من النار، اللهم آمين.

وفي خلال هذه المجالس المباركة كنَّا نودُّ أن يبقى **موضوع الإيمان هو موضوعنا الرئيس الذي به نعتني ونبذل جهودنا حوله لكي يزيد**، فإنَّ أعظم ما في المواسِم المباركة من المقاصد هو زيادة الإيمان، فاللَّهم اجعل هذا الشهر والأعمال التي فيه واجتماعنا سببٌ لزيادة الإيمان.

ومن أركان الإيمان التي نعتني بها الإيمان بالرُّسل، وقد مرَّ معنا الوقوف مع إبراهيم عليه السَّلام في مواقفه العظيمة التي ذكر الله عزّ وجلّ، ومرَّ معنا أيضًا الوقوف مع موسى عليه السَّلام، وامتثاله لأمر ربِّه، واليوم نقف مرَّة أخرى مع موسى عليه السَّلام ونرى أحداثًا تدلُّ على إيمانه، وكيف أمره الله أن يتعامل مع أحداث قد تتكرَّر على النَّاس فإذا تعلَّموا موقف الأنبياء، آمنوا بالأنبياء وعلِموا أنَّ ما أُرشد إليه الأنبياء أولًا هو نفسه ما نُرشَد إليه، لانْتَفعوا بما يقرؤون من قَصَص القرآن.

ولأنَّ السياق طويل بدأنا من جهة مقصودنا:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾

وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [يونس: ٨٣ – ٩٣].

فالآيات التي في أواخر سورة يونس عرضت موقف موسى عليه السَّلام وفرعون وتجبُّره، وكيف أنَّ فرعون مع بيان الحقِّ له لكنَّه ردّ الحقَّ، وفي المقابل آمن لموسى كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ يعني في أوائل دعوة موسى عليه السلام لم يؤمن لموسى -في وقت الخوف - إلا ذرِّية من قومه، وإيمان هذه الذرِّية كان على خوف من فرعون وملإيهم أن يفتنهم في دينهم. وكان وصف فرعون ﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ قال موسى لهذه الذُّرِّية التي ابتدأته بالإيمان: ﴿ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ ﴾ **الإيمان يستلزم منكم التوكل** ﴿ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ ، **فإنَّ المؤمن يتوكل ويستسلِم لربِّه إن كان حقًّا مُسلمًا مؤمنًا**، فكان ردّ هذه الذرية: ﴿ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ﴾ يدعون ربنا ﴿ لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾

وسنفهم كيف يكونون فتنة للقوم الظالمين، ﴿ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ إذن **توكلوا ودَعَوا ربَّهم** .

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا ﴾ الله أمر موسى أن يتبوّأ بمصر بيوتًا، بيوت لمن؟ لبني اسرائيل المستضعفين؛ يعني أن يجعلوا لهم بيوتًا في مصر كما هم، ما يخرجون.

﴿ وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ قبلة ماذا تفعلون بها؟ ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ وفي وسط هذه الأزمة الشديدة والخوف الشديد يُقال: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ بشِّر المؤمنين أنَّ امتثالكم للأمر وتوكلكم على الله ودعائكم كل هذا لن يخيب، لكن أهمّ أمر أن تمتثل أمر الله، وأن تكون ممن أطاع الله، واستجاب لأمر الله، ولم يخُن الله ورسوله.

إذن هم وُجِّهوا من قبل موسى عليه السلام ﴿ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ ﴾ هم توكلوا ﴿ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ والله أمر موسى أن يتبوأ لقومه بمصر بيوتًا ويجعلوا بيوتكم هذه قِبلة، وسنرى ما معنى القبلة. ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ بشِّرهم أنَّ لهم النَّصر إن امتثلوا الأمر.

وقال موسى بعدما أظهر لفرعون البيان التَّام، وكُلّ الذي كان يريده أن يخرج من مصر بقومه، لكن هم مِن جبروتهم ما كانوا يريدون أن يسمحوا له بالخروج، يعني لا آمن ولا تركهم يخرجون. فانظر لموقف موسى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ﴾ إنَّهم يستخدمون هذه الأموال، يستخدمون خَلاقَهُم -نصيبهم من الدنيا- في الضلال، يُضِلُّون نفسهم ويُضِلُّون غيرهم.

﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾ يعني أن يبقوا في حال بسبب ما معهم من نصيب يُعَذَّبون عذابًا أليمًا، وهذا بسبب عدم استجابتهم لأمر الله،

واستهانتهم بأمر الله، فهذا ليس احتراقًا على شأن النفس، إنما احتراقًا على طريق الله ليضلوا عن سبيله، فهذا بُغض من أجل الله.

﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا ﴾ وهذا أمر مهم، استقم على الأمر ولا تستقم على الهوى، ﴿ فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ هذا يُوجَّه به موسى عليه السلام، ويُوجَّه به كل من يقود شأن الأُمَّة خصوصًا في الأزمات، استقم على أمر الله، لا تتبع سبيل الذي لا يعلَم؛ لأنَّ الذي لا يعلَم السُّنَّة ولايعلم الحق يأخذه الحماس، والحماس يتطلَّب من الناس غالبًا الفوضى، الحماس غير المنضبط بالشرع غالبًا يأتي من ورائه الفوضى، فالله أمر موسى عليه السَّلام وأخيه أن يستقيمان ولا يتَّبِعان سبيل الذين لا يعلمون، امتثَلا الأمر فكان الجزاء ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ ﴾ خرجوا من تحت مُلكِه، تجاوزوا البحر نجَّاهم الله لما أَذِن لهم بذلك في الوقت الذي يعلم الله أنَّه وقت مناسب للخروج أخرجهم الله، **بعدما ظهر منهم التوكل وظهر منهم الدعاء وظهر منهم امتثال الأمر وظهر منهم الصبر واتخذوا بيوتهم قبلة وصلُّوا واستبشروا وانتظروا من الله الفرج كان في المقابل عطاء الله عزَّ وجلَّ أن أخرجهم** ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ ﴾ في هذا الاتباع كان اتباعهم من المؤكد أنَّه بغيًا وعدوًا، فكان يستحق الآن ما يأتيه ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ آمن الآن بعدما تحوَّل الغيب إلى شهادة، فكان الجواب: ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ ما ينفعك الآن ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ من أجل أي شيء؟ ﴿ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ وسنرى ما معنى بقاؤه آية، وهل ما يتداوله الناس اليوم من أنَّ جثة فرعون في المتحف هل هذا حق أم باطل؟!

﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ ﴾ يعني لما توكلوا و امتثلوا الأمر وبقيوا في بيوتهم كما أمرهم الله واعتنوا بصلاتهم، والدعاء، واستقبلوا البشرى، وبشِّر المؤمنين، واستقام النبي موسى وهارون، استقاما ولم

يتَّبِعان سبيل الذين لا يعلمون، كان الجزاء أنَّ الله عزَّ وجلَّ بوأهم مُبَوَّأ صدق ورزقهم من الطيبات، هل بقوا على هذه الحال؟

جاء الخبر هنا ﴿ فَمَا ٱخۡتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ ﴾ يعني بعد ما جاوز بهم البحر، وَوصلوا إلى الاستقرار، وأورثوا الأرض، وأصبح معهم ما معهم، حصل بينهم خلاف، لماذا؟! سيتبيَّن لنا.

متى حصل الخلاف؟ لما جائهم العِلم، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾

نقرأ تفسير الشيخ السِّعدي على هذه الآيات، ونفهم كيف على المرء أن يكون في وقت الفتنة والشِّدَّة وتَسَلُّط العدُو عليه، كيف لما يتسلَّط أحد مثل فرعون على المؤمنين ماذا يفعلون؟! وكيف يأتمرون؟!

﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوۡمِهِۦ ﴾ وهذه الذرية آمنت على خوف من فرعون وملإهم.

أي: شباب من بني إسرائيل، صبروا على الخوف، لمَّا ثبت في قلوبهم الإيمان. إذن هؤلاء الذُّرية التي ابتدأت الإيمان من بني اسراءيل في وقت الأزمة كانوا شبابًا وثبت في قلوبهم الإيمان، لكنهم آمنوا ﴿ عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡ ﴾ **عن دينهم.**

والسبب في خوفهم؟ ﴿ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ **أي: له القهر والغلبة فيها؛ فحقيق بهم أن يخافوا من بطشته.** يعني الآن هم لا يلاموا على خوفهم من البطش، إنما عليهم أن يفعلوا الأفعال التي تُرضي الله مع خوفهم، فخوف من شخص تسلط شعور طبيعي، لكن كيف تعامله؟ سيتبيَّن لنا في الآيات.

يقول: **{و} خصوصًا {إِنَّهُ}** كان ﴿ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ **أي: المتجاوزين للحد، في البغي والعدوان.** إذن عالٍ في الأرض ومُسرِف له القهر ومُتجاوِز الحدّ في البغي والعدوان.

يعني ليس فقط له سُلطة وإنَّما صفته في التعامل مع هذه السُّلطة الإسراف.

يقول الشيخ: **والحكمة -والله أعلم- بكونه ما آمن لموسى إلا ذرية من قومه، أن الذرية والشباب، أقبل للحق، وأسرع له انقيادًا،** - ففي أول الأمر ما آمن إلا هذه الذرية- **بخلاف الشيوخ ونحوهم، ممن تربى على الكفر فإنهم -بسبب ما مكث في قلوبهم من العقائد الفاسدة- أبعد من الحق من غيرهم.**

ولذلك دائمًا نقول في وقت الأزمات: إذا وجدت أنَّ الكبار لا يقبلون الحق، فعليك أن تتوجه للصغار تربيهم كما ينبغي، ولهذا أشدّ فتة خطيرة على المجتمع إذا لم يُعتنى بإيمانها هي الشباب، وبهذا تفهم لماذا هناك مُنظَّمات خاصَّة للأطفال والشباب، مُنظَّمات أصلها يهودي خاصة للشباب والأطفال، يدخلون بفِكرِهم وعبثهم لهؤلاء، فما الذي يجعلهم يهتمُّون بالشباب في العالم ويهتمون بالأطفال؟ معلوم لأنهم أقبل لكل فكرة، وإذا كانوا أقبل لكل فكرة، ولم يُبْنَ في نفسهم الإيمان، تخطَّفهم غيرهم .

ولهذا نحن نرى انبهار الشباب لما يخرجوا إلى الخارج، انبهارهم بالحضارات المختلفة دون معرفة حقيقة هذه الحضارات!

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ ﴾ **موصيًا لقومه بالصبر، ومذكرًا لهم ما يستعينون به على ذلك** – يعني مطلوب منهم أن يصبروا في وقت الأزمة في وقت تسلط العدو ماذا يفعلون؟ يستعينون بأي شيئ؟**– فقال:** ﴿ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ ﴾ فالإيمان سيكون سبب للقيام بهذه الوظيفة.

فقوموا بوظيفة الإيمان. ما هي وظيفة الإيمان ؟

﴿ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ **أي: اعتمدوا عليه، والجؤوا إليه واستنصروه.** واستسلموا لقضائه وقدره.

﴿ فَقَالُوا ﴾ **ممتثلين لذلك** ﴿ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ – إذن أولًا ابتدؤوا في أن قالوا: على الله توكلنا، حصل منهم التوكُّل ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ **أي: لا تسلطهم علينا، فيفتنونا**، لا تسلِّط القوم الظالمين.

فيفتنونا أو يغلبونا، فيفتنون بذلك، ويقولون: لو كانوا على حق لما غُلِبوا. إذن هم يسألون الله أن لا يكونوا سبباً لفتنة القوم الظالمين ، **كيف يكون المؤمن فتنة للقوم الظالمين؟**

الجواب: لو ابتلي المؤمنون وتسلَّط عليهم الكافرين ففتنوهم غلبوهم، انهزموا، فيأتي الكافرين يقولون: لو كانوا على حق لما غُلبوا، إذن الإسلام الذي يحملوه ليس حقًا. وهذا كما يحصل اليوم في أماكن كثيرة، أن يغلب أهلُ الكفر أهلَ الإسلام، فينفتن أهل الكفر فيقولوا: لو كان حقًا كان نصرهم الله.

فهم دعوا أن لا يكونوا فتنة للقوم الظالمين، بمعنى أن لا يتغلبوا عليهم فيقولون لو كانوا على حق ما تغلَّبنا عليهم ، فنسأل الله أن لا يجعلنا فتنة للقوم الظالمين.

﴿ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ يعني لا تفتنهم بنا ونجِّنا نحن منهم .

لنسلم من شرّهم، ولنقيم على ديننا على وجه نتمكن به من إقامة شرائعه، وإظهاره من غير معارض، ولا منازع. إذن يريدون أن ينجوا ليس من أجل الدنيا؛ نجِّنا بديننا، من أجل أن نُظهِر ديننا بلا معارض ولا منازع، وهم في هذه الحال :

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ ﴾ **حين اشتدّ الأمر على قومهما، من فرعون وقومه، وحرصوا على فتنتهم عن دينهم**. يعني في الوقت الذي أراده الله، أوحى إليه هذا الوحي والأمر في غاية الشِّدَّة وكانوا حريصين على فتنتهم، أراد الله أن يبقوا هنا في مكانهم – في مكان الشدة – .

﴿ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا ﴾ **أي: مروهم أن يجعلوا لهم بيوتًا، يتمكنون به من الاستخفاء فيها.**

﴿ وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ **أي: اجعلوها محلًا تُصلُّون فيها، حيث عجزتم عن إقامة الصلاة في الكنائس، والبِيَع العامة.** كان هم من دينهم أن لابد أن يُصَلُّوا معًا، فجعلوا بيوتهم قبلة استثناءًا أن تكون بيوتهم مكان لصلاتهم.

﴿ وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ **فإنها معونة على جميع الأمور.**

﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ **بالنصر والتأييد، وإظهار دينهم، فإن مع العسر يسرًا، إن مع العسر يسرًا، وحين اشتد الكرب، وضاق الأمر، فرجه الله ووسعه.** وهذه هي الحقيقة، أن الله يختبر العباد عموماً بتسلّط الأعداء عليهم، فإن فعلوا ما أمرهم الله، فإنَّ الله لابد أن يفرج عنهم كربهم.

- فهم آمنوا
- وقاموا بوظيفة الإيمان ألا وهو التوكل
- وقاموا بوظيفة الإيمان ألا وهي الدعاء
- وقاموا بوظيفة الإيمان وهي الصلاة
- وكانوا مستبشرين مطمأنين لأمر الله

فهذا يجعلنا نعلم أنَّ الصبر والتوكل على الله والدعاء والصلاة والاستبشار كلها من وظائف المؤمن لما يتسلط عليه العدو.

واذا استبشروا، علِموا أنَّ مع العُسر يُسرًا، وأنَّه حينما يشتدّ الكرب، ويضيق الأمر، فالله عزّ وجلّ لابُدَّ أن يوسعه، إنَّما هذا اختبار، والدنيا دار ممرّ وليست دار مقرّ، وكلًا يُختبر بحسبه.

أسأل الله عزَّ وجلَّ أن يقوي إيماننا وأن يجعلنا ممن يمتثل الأمر.

فلما رأى موسى، القسوة والإعراض من فرعون وملئه، دعا عليهم وأمَّن هارون على دعائه. لما رأى القسوة والإعراض ماذا قال؟ **قال:** ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً ﴾ **يتزينون بها من أنواع الحُلي والثياب، والبيوت المزخرفة، والمراكب الفاخرة، والخدام،** ﴿ وَأَمْوَٰلًا ﴾ **عظيمة** ﴿ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ﴾ **أي: إن أموالهم لم يستعينوا بها إلا على الإضلال في سبيلك، فيَضلون ويُضلون.**

وهذا خلاقهم الذي استمتعوا به فيما يضرُّهم في شأنهم في دينهم ودنياهم، ﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ **أي: أتلفها عليهم: إما بالهلاك، وإما بجعلها حجارة، غير منتفع بها.**

الطَّمس ذُكر في بعض ما ذكر من كلام السَّلف أنها تحوَّلت إلى حجارة وبقيَت بعدهم، وهذا مما قيل لكن لا يظهر عليه دليل واضح، على كل حال اتلفها عليهم أو اجعلها عليهم حجارة بأي نوع من التلف.

﴿ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ **أي: قسها** ﴿ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾ لماذا دعى عليهم هذا الدعاء؟

- **قال ذلك، غضبًا عليهم، حيث تجرؤوا على محارم الله، وأفسدوا عباد الله، وصدوا عن سبيله.** هذا الأمر الأول لما رآهم وصلوا بهذه الحال غضب لتجرُّئهم وإفسادهم وصدِّهم.
- وأيضًا لكمال معرفته بربه فإنه يعلم أنَّ من ردَّ الحق المرة الأولى والثانية والعاشرة وعامله الله بالحلم فلم يقبل، سيحول الله بينه وبين قلبه، فقال: **ولكمال معرفته بربه بأن الله سيعاقبهم على ما فعلوا، بإغلاق باب الإيمان عليهم.**

لماذا سيغلق عليهم باب الايمان؟

معلوم من سُنَّة الله أنَّ من لم يستجِب وكُرِّر عليه النِّداء وعُرِض عليه الأمر، فاشتدَّ منه العِناد، فلا يستحق أن يكون من أهل الإيمان؛ فدعى عليهم هذه الدعوة.

﴿ قَالَ ﴾ **الله تعالى** ﴿ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ﴾ **هذا دليل على أن موسى، كان يدعو، وهارون يؤمِّن على دعائه،** -ومن هنا استدل الشيخ- **وإن الذي يؤمِّن** -الذي يقول آمين-، **يكون شريكًا للداعي في ذلك الدعاء.**

﴿ فَٱسْتَقِيمَا ﴾ **على دينكما، واستمِرّا على دعوتكما،** ولا تلتفتوا يمينًا ولا يسارًا وإنما عليكم الاهتمام بدعوة الناس ولا تفكروا في أي شيء آخر.

﴿ وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ **أي: لا تتبعان سبيل الجُهَّال الضُلَّال، المنحرفين عن الصراط المستقيم، المتبعين لطرق الجحيم،** -في أثناء هذا- **فأمر الله موسى أن يسري ببني إسرائيل ليلاً، وأخبره أنهم سيتبعونه،** أخبر الله موسى أن فرعون سيتبعه.

وأرسل فرعون في المدائن حاشرين يقولون: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ **أي: موسى وقومه:** ﴿ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الشعراء:٥٤-٥٦]

فيريد ماذا؟ أن يجتمعوا عليهم ويأتوا بهم، **فجمع جنوده، قاصيهم ودانيهم، فأتبعهم بجنوده،** -وهذا الإتباع كان- **بغيًا وعدوًا أي: خروجهم باغين على موسى وقومه، ومعتدين في الأرض، وإذا اشتد البغي، واستحكم الذنب، فانتظر العقوبة.**

وهذه سنة الله، لما أذِن الله لموسى بالخروج من مصر، وما خرج إلا لما أذِن له، كان الزمن الذي أراد الله فيه أن يهلك فرعون، فخرج فرعون بغيًا وعدوًا فنزلت عليه العقوبة.

﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ ﴾ **وذلك أن الله أوحى إلى موسى، لما وصل البحر، أن يضربه بعصاه، فضربه، فانفلق اثنى عشر طريقًا، وسلكه بنو إسرائيل، وساق فرعون وجنوده خلفه داخلين.** وهذا من منتهى الضلال، فإنك تعلم يقينًا يا فرعون أنَّ موسى أتاك بالآيات وأنَّ آياته هي الحق، وأنَّه وقت ما ضرب البحر ستكون آية له، وهو الذي سينتفع بها ولن تنتفع أنت بها، لكن لترى كيف يُطمَس على قلب الإنسان؛ فلما يُكرِّر الإنسان على نفسه فكرة غير صحيحة ويعتقد بها فلما

يأتي الوقت الذي يتبين تماماً أن فكرته غير صحيحة، لا يستطيع أن يتصرف إلا بناء على ما كان يُفكِّر فيه أولًا.

وهذا يجعل الإنسان يفهم ما معنى حُسن وسوء الخاتمة

- فإنَّ من أحسن في تفكيره، وأصلح خواطره، ولم يكذب على نفسه، وكان يقول دائمًا الحق لنفسه ولغيره؛ سيأتي الوقت الذي يحتاج فيه هذا الصدق الذي كان يعيشه ويُعَيِّش نفسه به، فلما تأتي الازمات يتصرَّف في الأزمة على ما فهم وعَلِم من صدقه.
- أما لما يكذب على نفسه، من أجل أن نتصوَّر الموقف هذا فرعون قال الله في حق كفره ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤] جحدوا بها بألسنتهم، لكن استيقنت أنفسهم أنَّ موسى عليه السلام معه الحق، استيقنت أنفسهم أن موسى عليه السلام دعوته حق، واستيقنت أنفسهم أنَّ الذي مع موسى ليس سحرًا وإنها آية تخُصُّ موسى، كل هذا يقين في نفسهم لكنهم بقوا يقولون بألسنتهم عكس هذا اليقين، بقوا يقولون بألسنتهم أنه ساحر كذاب، أنه يريد أن يخرجنا من ديارنا.

أتى فرعون المؤمن من آله وأطال المقام معه وخاطبه وبيَّن له، وهذا كله وهم يكذبون على أنفسهم وقد استيقنت أنفسهم أنَّ موسى معه الحق، فرعون استيقن هو وقومه أن موسى معه الحقّ.

الآن أصبحوا في موقف إما نجاة وإما هلاك، أولًا كان يُعرض عليهم الأمر، الآن إما نجاة وإما هلاك، أمامه البحر هو يعرف طبيعة البحر أنه لو دخل فيه سيغرق، رأى موسى الذي كان من أصل الأمر متيقِّن أنه نبي من عند الله وأنَّ معه الحق وأنَّه ليس ساحر وأنَّ معه آيات وأنَّ الله يعطيه آيات وينجِّيه .. إلى آخر ما يتضمن اليقين بنبوته.

لما أتى الموقف الذي به الأمر يكون بين الحق والباطل، وبين الحياة والموت، هو يعرف الآن طبيعة الماء ويعرف ماذا سيحصل به إذا دخل ويعرف أن موسى نبي من عند الله وأنَّ معه آيات. الآن هل اليقين الذي في قلبه نفعه في تلك اللحظة؟ وهو طويل الكذب على نفسه، طول حياته يكذب على نفسه، هل هذا نفعه؟! الجواب: لا، لم ينفعه اليقين الذي في قلبه، في وقت الأزمة ما خرج منه إلا الكذب، في وقت الأزمة لم يُوفَّق لأن يقول الحق، ولا أن يتخذ قرارًا صحيحًا.

بكلام مختصر أنت تعلم أنه نبي يا فرعون، تعلم أن الله يؤيده، وتعلم طبيعة البحر، وتعلم أنَّ هذا سيكون خاص به، لماذا هذه الحقائق كلها غابت عنك لحظة ما دخلت البحر؟ السبب أنَّك عِشت على التكذيب ولأنك عشت على التكذيب لم توَفَّق، وإلا وأنت على الشاطىء رأيت آية من آيات الله العجيبة كان عندك فرصة أن تؤمن.

وهذا يدلّنا على أنَّ من أخطر المسالك التي يسلكها الإنسان مع نفسه هي الكذب على النفس، إنها من أخطر المسالك التي تهلك صاحبها وتودي بها فتجعل الإنسان في نهاية الأمر لا يفرق بين الحق والباطل، ولا يدري هل هو يعتقد بقلبه أم هذا الكلام يقوله فقط بلسانه.

وصلنا إلى مقصدين مهمين من القصة :

المقصد الأول: مسلك المؤمنين طاعة ربّ العالمين، وربّ العالمين سبحانه وتعالى يربّي العباد بإرسال الأنبياء والرسل، والأنبياء والرسل يصفون للأمم كيف يعيشون وقت الأزمات، كيف يعيشون وقت الفتن، كيف يعيشون وقت ما يتسلط عليهم عدو. هنا نموذج موسى عليه السلام مع قومه، هذا النموذج عُرِض علينا من أجل أن نعايشه ونفهمه، ولا نقول هذا يخصّه إنما كل ما عرض في القرآن من القصص والأخبار التي أتتك عن من قبلك خصوصًا عن الأنبياء والمرسلين، يقال لك اعتقد فيها واعلم أنَّ ما أخبرت به عنهم يراد منك أنت أيضًا؛ يراد أن تعتقده فيهم ويراد أن تعيشه وتسلكه إن كنت في حالة تشبه حالهم.

وسنجد أنَّ هذا الذي عاشه موسى عليه السلام هو نفسه الذي أمرنا به النبي صلى الله عليه وسلم في الفتن، أنت مؤمن تثق بالله تعلم أنَّ أمر الله هو الحق والصواب، وأنَّ ماجاء به الأنبياء هو الصدق، توكل على الله، امتثل أمر الله، اصبر، إذا تسلَّط عليك العدو، احبس نفسك عن أي انفعال، توكل على الله إن كنت مسلمًا مؤمنًا، ادعُ الله، استغِث إن كنت مؤمنًا أنه رب السماء والأرض وأنَّ بيده مقاليد كل شيء؛ لا تظن هذه سلبية، هذه قوة إيمان. ألم يكن النبي صلى الله عليه وسلم وهو في حال الضعف في الغار ويقول له أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه: لو نظر أحدهم إلى قدميه لرآنا، ماذا قال له؟ قال له: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ التوبة: ٤٠ إنَّه الإيمان، اليقين أن ربنا الذي في السماء الذي

يملك الملك، ويدبِّر الشأن هو الأول الذي يُسبِّب الأسباب، وهو الآخر الذي يعطي نتائج هذه الأسباب، فما بالك تغتر بالأسباب أو تظنها توصلك إذا خالفت أمر الله؟

إذن:

- **اصبر**
- **توكل**
- **ادعُ**
- **استغِث**

لأنَّ هذا دليل الإيمان، أقِم الصلاة، اعتنِ بالصلاة، اعتنِ بدينك، وأبشر.

لا يدخل إلى قلبك اليأس وكن حذرًا، استقم على هذا وكن حذرًا من أن تتبع سبيل المتحمسين، سبيل المفتونين، سبيل الذين سماهم الله الذين لا يعلمون؛ لا يعرفون ربهم، لا يعرفون دينهم، لا يعرفون سنة الله في الأرض، لا يعرفون أنَّ الملك ملكه، وأنَّ الأمر أمره، ما يعرفون هذا كله! فهؤلاء الذين لا يعلمون يغرون الذين يعلمون ويغرون أنصاف المتعلمين؛ الذين يجدون حماسة ويجدون مواقف ويجدون أحداث ربما تُدخل لهم الأمل أنهم سينتصرون، وأنهم سيحصل لهم ما يريدون، وهم في هذا كله لا يمتثلون أمر الله!.

استقيم لا تتبع سبيل الذين لا يعلمون، ولابد أن تُختبر، لو صدَّقت بما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، ستسير وأنت هادئ، وإذا اجتمع الناس على خلاف ما معك ستقول أنا سأستقيم على أمر الله ولا أتبع سبيل الذين لا يعلمون، أنا أعلم ماذا أُمِرت وأنتم لا تعلمون، فحتى لو كنتم كثرة، الكثرة لا شيء في مقابل أمر الله. فتعلَّم من النبي الذي تؤمن به، نبيك صلى الله عليه وسلم وموسى صلى الله عليه وسلم، تعلَّم منهم كيف تسير إلى الله خصوصًا في زمن الفتنة، هذا الدرس الأول الذي تعلمناه من بداية القصة.

المقصد الثاني الذي تعلمناه: أن الإنسان إذا عاش يكذب على نفسه، عاش يغرُّها بمفاهيم ولا يفتِّش في داخله عن الحقائق، ستأتي اللحظة الحاسمة في حياته فيموت على ما عاش عليه. كذاب طول حياته لا يتحقق ولا يفتش في إيمانه وتصديقه لا يفتش في إخلاصه لا يفتش في صدقه، **النتيجة** أنه يموت على ما عاش عليه، يكون غاشًا لنفسه غير باحث عن إيمانه، غير مفتِّش ليقينه وتصديقه فيموت وهو على الحال التي عاش عليها – نعوذ بالله من الخذلان-.

نأتي إلى الدرس الأخير في هذا المقطع يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ ﴾ **وذلك أنَّ الله أوحى إلى موسى لما وصل البحر، أن يضربه بعصاه، فضربه، فانفلق اثنى عشر طريقًا، وسلكه بنو إسرائيل، وساق فرعون وجنوده خلفه داخلين. فلما استكمل موسى وقومه خارجين من البحر، وفرعون وجنوده داخلين فيه، أمر الله البحر فالتطم على فرعون وجنوده، فأغرقهم، وبنو إسرائيل ينظرون.** وهذا من تمام البشرى أنهم بعينهم سيرون هلاك فرعون .

حتى إذا أدرك فرعون الغرق، وجزم بهلاكه – جزم بهلاك نفسه- ﴿ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ **وهو الله الإله الحق الذي لا إله إلا هو** ﴿ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ **أي: المنقادين لدين الله، ولما جاء به موسى** -يعني استسلمت حصل منه الاستسلام الآن-.

قال الله تعالى -مبيّنًا أن هذا الإيمان في هذه الحالة غير نافع له-: وهذا ما تدور عليه سورة يونس، **سورة يونس تدور حول هذا المقصود أن هناك زمن للإيمان ينفع وزمن للإيمان الذي لا ينفع**، فكان نموذج زمن الايمان الذي لا ينفع هو فرعون، ونموذج زمن الإيمان الذي ينفع هو قوم يونس آمنوا في زمن ينفع معه الايمان، المقصد يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ ءَآلۡـَٰٔنَ ﴾ **تؤمن، وتقر برسول الله** ﴿ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ ﴾ لأن في كلامه اعتراف بالله واعتراف برسول بني اسرائيل.

أي: بارزت بالمعاصي، والكفر والتكذيب ﴿ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ **فلا ينفعك الإيمان كما جرت عادة الله، أن الكفار إذا وصلوا إلى هذه الحالة الاضطرارية،** يعني حلم الله يشمل الخلق

جميعًا إلى أن يصلوا إلى الحالة الاضطرارية أنهم لا ينفعهم ايمانهم، إذن هذه سنة الله، فأنت يجب عليك أن تعرف سنة الله ولا تضع رحمتك في غير مكانها.

الله يحكي لك في القرآن كيف عاملهم وكيف تركهم، وكيف تسلطوا وتجبروا، فلا تأس عليهم وقتما تأتيهم العقوبة التي يستحقونها.

إذن سنَّة الله أنه لاينفعهم إيمانهم إذا كان اضطراريًّا؛ لأن إيمانهم صار إيمانًا مشاهدًا؛ لأنه رأى الموت بعينه فأصبح كأنه إيمان بالمشاهَد وليس بالغيب، كإيمان من ورد القيامة، إيمانه هنا كإيمان من هو في عرصات يوم القيامة وقال أنا الآن آمنت بربنا، والذي ينفع إنما هو الإيمان بالغيب.

لو نظرنا إلى مسألة الصلاة مثلًا: وأنت في الصلاة إذا كنت مؤمنًا أنك تقف بين يدي الله إيمانًا بالغيب، **فتُحسن صلاتك وتجمع قلبك** وتُركِّز فيما تقوله لربك وفيما يردُّه عليك ربك العظيم، فيقول لك: (أثنى علي عبدي، مجَّدني عبدي)، إذا أحسنت في هذا الوقوف الذي فيه غيب، **سيُحسَن إليك في الوقوف الذي فيه شهادة**، فلمَّا تقف بين يدي الله في ذاك الموقف العظيم، يُحسَن إليك ويكون موقفك موقفًا مشرِّفًا، فمن آمن بالغيب هنا -يعني وقف كأنَّه يرى الله- نفعه إيمانه بالغيب لما يصبح هذا الغيب شهادة، آمنَّا بك يارب العالمين.

قال الله عزّ وجلّ: ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗ ﴾

قال المفسرون: إنّ بني إسرائيل لما في قلوبهم من الرعب العظيم من فرعون، كأنهم لم يصدقوا بإغراقه، وشكوا في ذلك، فأمر الله البحر أن يلقيه على نجوة مرتفعة ببدنه، - يعني على هضبة مرتفعه - **ليكون لهم عبرة وآية.**

وهذا والله أعلم هو الحق وأنَّه لم يبقَ بعد ذلك، وأنَّ ما يدّعونه أنَّه هنا في المتاحف، في المتحف البريطاني جثة له، فهذا ليس له دليل ولا سند ولا تقبل في مثل هذه الأمور أشياء بدون دليل ولا تنشرها.

﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ **فلذلك تمر عليهم وتتكرر فلا ينتفعون بها، لعدم إقبالهم عليها.**

الله عزوجل يظهر لهم الآيات لكنهم لا ينتفعون بها؛ والسبب أنهم لا يُقبِلون عليها إقبال من يريد أن يتفكَّر فيها.

وأما من له عقل وقلب حاضر، فإنه يرى من آيات الله ما هو أكبر دليل على صحة ما أخبرت به الرسل. وهذا حق، تعلَّم عن الله وتعلَّم عن ما أخبرت به الرسل؛ ستراه بعينك في كل موقف وفي كل مشهد لكن الجاهل ما يعرف يفسّر ماذا يحصل حوله.

﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ ﴾ **أي: أنزلهم الله وأسكنهم في مساكن آل فرعون، وأورثهم أرضهم وديارهم.**

﴿ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ **من المطاعم والمشارب وغيرهما.**

الدرس الثالث الذي نريد أن نخرج به من هذه الآيات:

﴿ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ ﴾ **في الحق** ﴿ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ﴾ **العلم** موجب لأي شيء؟ يقول الشيخ: **الموجب لاجتماعهم وائتلافهم، يعني العلم يوجب أن نجتمع،** يعني لو كنت مثل هذا الاجتماع المبارك، ناس من شرق الأرض، ناس من غربها، ناس من شمالها، ناس من جنوبها، قارات مختلفة كلنا اجتمعنا على أن نتعلَّم كلام الله، وعرفنا من هو الله العظيم وعظَّمناه، وأصبح هو العظيم عندنا ولا نعظِّم غيره، ونعظِّم رسوله لأنه أمرنا بتعظيمه، ونعظِّم أمر الرسول، **ونتواصى جميعًا:**

﴿ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾ النساء: ٥٩

﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ الأنفال: ٢٤

﴿ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ الأنفال: ٢٧

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ الأنفال: ٦٩

أصبحنا نشترك جميعًا في أننا نخاف الله ونعظِّم الله ونعظِّم أمر الرسول، فما أن يصح عندي وعندك حديث فيه أمر عن الله أمرنا به رسول الله إلا نمتثله مباشرة، قد نختلف فقط في فهم نفس النص، لكن نجتمع في كوننا أنَّ الدليل هو قائدنا، فالاختلافات بسيطة. لكن في الأصل لو اجتمعنا جميعًا في خيمة واحدة في الحج مثلًا -أسأل الله من فضله أن يبلغنا حجًا مقبولًا- لو اجتمعنا نجد أنفسنا متفقين لأننا جميعًا نعظِّم الله ونريد رضاه وقلوبنا معلَّقة بمن في السماء ونطلب ثناه.

كيف يأتي العلم فيفرِّق الناس؟ لا يمكن أن يكون علمًا صحيحًا يفرق الناس، لكن هنا حتى جاءهم العلم حصل التفرُّق! نقول: نعم، هناك عامل آخر دخل عليهم، يقول الشيخ:

- **ولكن بغى بعضهم على بعض** (البغي)
- **وصار لكثير منهم أهوية** (الهوى)
- **وأغراض تخالف الحق**

← فحصل بينهم من الاختلاف شيء كثير.

يريد ينتصر لرأيه، يريد أن يكون هو الزعيم على الخلق، يريد تكون القيادة له، أهواء كثيرة تتخطف بالناس، فتراه مع وجود الحقّ لكنه ما يبحث فيه، وإذا قلت له تعال إلى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وقل لي كيف تفهم هذا النص وكيف فهمه الأوائل؟ يهاجمني، يقول: أنت أصلًا على فِكر كذا وكذا، أنت وهَّابي، أنت ممن أفرزته كذا وكذا من الجماعات، فلا يناقشني في الحقِّ وإنما يناقشني في نسبتي التي هو يظن أنني منسوبة إليه، فإنك تسمع قارئ القرآن يقرأ في سورة النساء مرتين في كتاب الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨] ثم لا يحرِّك ساكنًا في الإنكار على الشرك، ماذا تستفيد من بقاء الشرك في العالم الإسلامي؟ ماذا تستفيد من بقاء الأضرحة في كل مكان؟ ماذ تستفيد من تبرُّك الناس بالموتى؟ لما تقول له ذلك يقول لك: دوشتونا بالكلام عن

التوحيد والشرك، الناس الآن يحتاجون شيئًا فوق التوحيد! سبحان الله! وهل هناك شيء فوق التوحيد؟!! لو وحَّدوا واستقاموا على أمر الله، كشف الله عنهم مابهم.

المشكلة عدم فهم النتائج والأسباب، نحن في النتائج الآن، نحن نذوق في العالم الإسلامي نتائج عدم توحيد الله وعدم تعظيم الله!

لما يظهر شخص ليس له هوية يتعدَّى على دين الله هنا وهنا وفي كل مكان، تدفع ثمن ماذا الآن؟ أنت تدفع ثمن عدم تعظيم الله، هؤلاء لم يعظِّموا الله لأنك أنت الذي تُعَلِّم كان لك أهوية، فما نشرت التوحيد، ما نشرت عظمة الله! إنّهم يتجرؤون على الله تجرُّءًا يُعجِز النفس عن أن ترد على هذه الجرأة.

ما لنا إلا أن نقول: يا ربّ لا تؤاخذنا بما يقول السفهاء! وإنَّهم ليسوا منَّا، إنَّا بريئين ممن يتعدّى على الله وعلى رسوله، غرَّتهم دنياهم، إنهم يعيشون الآلام في نفوسهم والغربة لكنهم لا يعرفون أنَّ هذه الآلام والغربة سببها عدم طاعة الله، يعيشون نتائج ما يعرفون أسبابها.

أنت يا واعي، يا من معك العِلْم عليك أن تعرف السبب.

إذن ما حصل الاختلاف إلا بسبب البغي والأهوية وأغراض تخالف الحق فحصل بينهم من الاختلاف الشيء الكثير .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٩٣) ﴾ **بحكمه العدل الناشئ عن علمه التام، وقدرته الشاملة، وهذا هو الداء، الذي يعرض لأهل الدين الصحيح.**

وهو: أن الشيطان إذا أعجزوه أن يطيعوه في ترك الدين بالكلية، سعى في التحريش بينهم، وإلقاء العداوة والبغضاء، فحصل من الاختلاف ما هو موجب ذلك، ثم حصل من تضليل بعضهم بعض، وعداوة بعضهم لبعض، ما هو قرة عين اللعين.

وإلا فإذا كان ربهم واحدًا، ورسولهم واحدًا، ودينهم واحدًا، ومصالحهم العامة متفقة، فلأي شيء يختلفون اختلافًا يفرق شملهم، ويشتت أمرهم، ويحل رابطتهم ونظامهم، فيفوت من مصالحهم الدينية والدنيوية ما يفوت، ويموت من دينهم، بسبب ذلك ما يموت؟.

فنسألك اللهم، لطفًا بعبادك المؤمنين، يجمع شملهم ويرأب صدعهم، ويرد قاصيهم على دانيهم، يا ذا الجلال والإكرام.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.